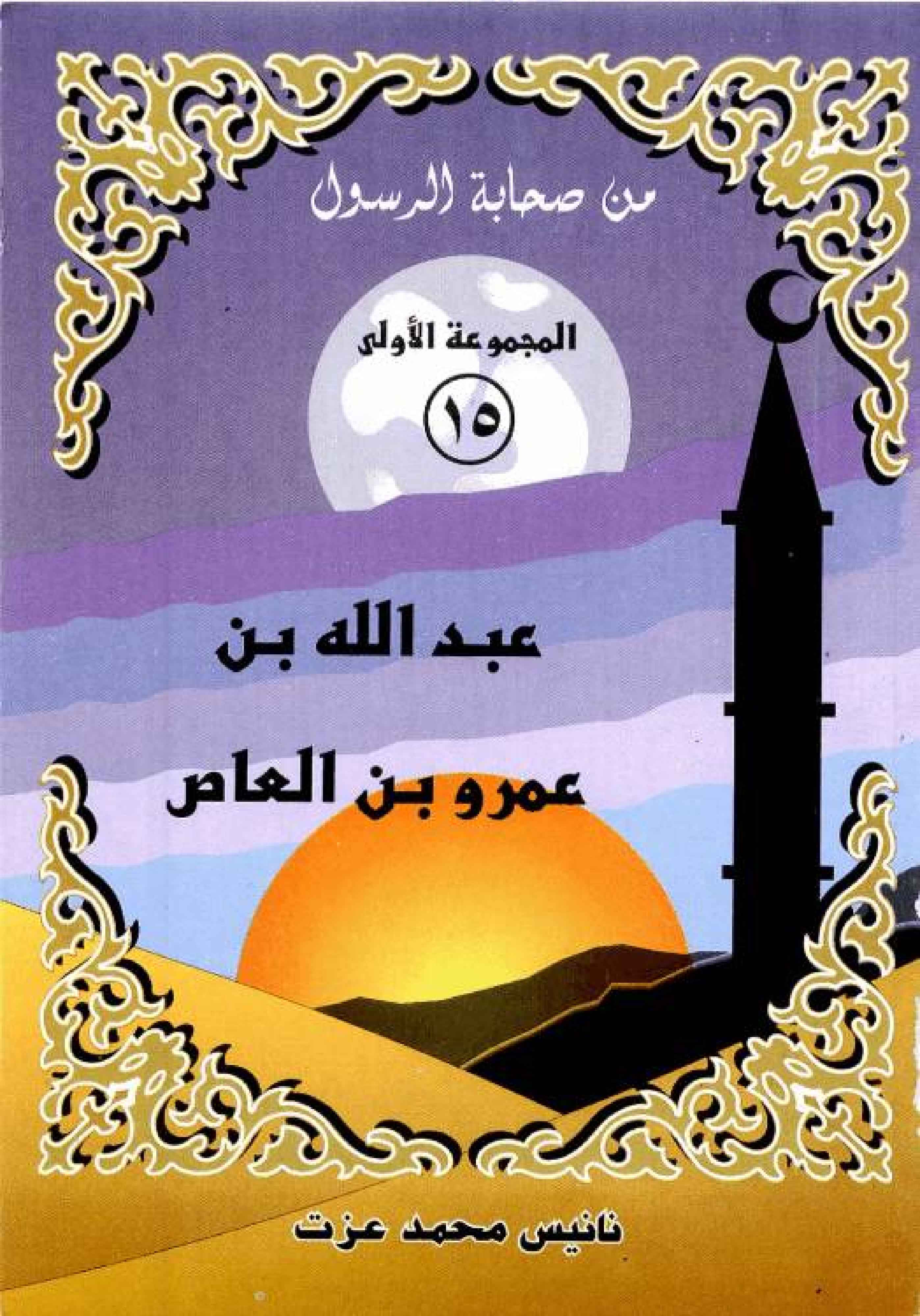

من صحابة الرسول
المجموعة الأولى
١٥
عبد الله بن
عمرو بن العاص
نانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١٥

عبد الله بن عمرو بن العاص

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

سعيد جودة السحار وشركاه

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

ت: ٥٩٠٨٩٢٠

عبد اللّه بن عمرو بن العاص

قال « المُعلّمُ عبّاس » لوَلدِه : لقد كَبِرتَ يا رَبيع ، ومنَ الواجبِ عَلَيكَ الآنَ أن تُساعِدَ أباك ، فتذْهبَ مَعِيَ غدًا إلَى العَمل .

بُهِتَ رَبيعٌ وقالَ لوالِدِه : أَذهبُ معك إلَى العَمل ! إنَّ عَملكَ هذا لا يُناسِبُنى ، ثمَّ إنَّ عَمَلَكَ الّذى تَقومُ بِه لا يُسمَّى عَملاً علَى الإطْلاق .

اِغْتاظَ أَبوهُ وصَرخَ فيه : لا يُعجبُك عَملى ، وأَنا أَكسِبُ فى اليَومِ الواحد أكثَرَ

مَن مِائَةِ جُنَيه ، ثُمَّ إنَّ اللّهَ أمركَ بطاعَةِ والِدَيْك ، فَهُما أَدرَى النّاسِ بِما يَنفَعُك .

ذهبَ رَبيعٌ إلَى المَسجدِ وهو مَهْموم ، يُفكِّرُ فيما قالَه لـه والِدُه . فوالِدُهُ يُريدُ أن يَعملَ مَعه . كَيف ؟ كَيفَ له أن يَمُدَّ يَدَهُ ويَسأَلَ النّاس ؟ كيفَ لـه أَنْ يعمَل مُتَسَوِّلاً كوالِدِه ؟

وتَذكَّر رَبيعٌ قَولَ والِدِه : إنَّ اللّهَ يَأمُركَ بطاعَةِ والِديك . أيَجبُ عَليه حَقّاً أن يُطيعَ والِدَه ، حتّى لو أَمرَه بالتّسَوُّل ؟

وبعدَ أن صلّى رَبيعٌ المَغربَ فى المَسجد ، ذهبَ إلَى الشَّيخِ علىٍّ إمامِ المَسجِدِ وسَالَه :

ـ والِدى يَأمُرنى أَنْ أتَسوَّلَ مَعه، ويُذكِّرُنى بأَمْرِ اللّهِ بطاعَةِ الوالِدَيْن ، فماذا أَفْعل ؟

قالَ الشَّيخُ عَلِىّ : حاشا لِلّهِ أنْ يَكونَ اللّهُ قد أمَرَ بذَلِك . فقدْ قالَ اللّهُ سُبحانَهُ وتَعالَى :

﴿ وإنْ جاهَداكَ علَى أن تُشرِكَ بى ما لَيسَ لكَ بهِ عِلمٌ فلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما فى الدُّنيا مَعْروفا ﴾ .

فَرِح رَبيعٌ وقال : أمُمْكِنٌ أنْ أرفُضَ الذّهابَ مَعَه ؟

قالَ الشَّيخُ عَلِىّ : قلْ لأَبيكَ إنّى أُريدُ أن أُكَلِّمَكُما مَعًا بعدَ صَلاةِ العِشاء .

وبعدَ صَلاةِ العِشاء جَلسَ الشَّيخُ علىٌّ يُحدِّثُ المُعلّمَ عَبّاسًا ووَلَدَه ، فقالَ لَهُما :

ـ كيفَ لكَ أن تَأمُرَ ابْنَك بالتّسوُّل ؟ ألم تَعلمْ بأنَّ اللّهَ ـ سُبحانَهُ وتَعالى ـ قد نَهى عنْ سؤالِ النّاس ؟ وأنَّ النّبىَّ ـ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ قالَ لرَجُل : (لئنْ تَحتَطِبْ أكْرمُ إليكَ من أن تَمُدَّ يدكَ لِلنّاس) ؟

قالَ المُعلّمُ عَبّاس : إنّى أكسِبُ منَ التّسوُّلِ فى اليَومِ الواحِدِ أكثرَ مِمّا أكسِبُهُ من أىِّ عَملٍ آخر .

قال الشَّيخُ علىّ : قدْ تكسِبُ أكثَر ، ولَكِنّك ستُلاقى ربَّكَ يَومَ القِيامَةِ وأنت

أَسودُ الوَجهِ مُكفهِرُّ الجَبين . ثـمَّ أَخْـبرنى .. أىُّ طاعَةٍ لِلوالِديْن هذه الَّتى تُريـد ابنَـكَ أن يَلْتزِمَ بها ؟ يَجبُ عَليـكَ أنْ تَـأمُرَه بطـاعَتِكَ فى الخَيرِ ولَيـس فـى مَعصِيَـةِ اللّـه . إنَّ عبـدَ اللّـهِ بـنَ عَمْـرِو بـنِ العـاص ، أطـاعَ والِــدَه كارِهًـا يومًـا واحـدا ، وقَضَـى مـا بَقَـى مــن عُمْرِهِ نادِمًا على أَنْ فَعَل .

قـالَ رَبيـع : ومـا الّـذى فعلَـهُ لِيَنْـدمَ عَليـه طِوالَ عُمرِه ؟

قالَ الشَّيخُ عَلىّ : لقدْ كانَ عبـدُ اللّـهِ بـنُ عَمرِو بنِ العـاصِ عـابدًا زاهِـدا ، لا يَعـرِفُ مـنَ الحيـاةِ إلاّ المَسـجدَ والعِبـادَةَ وقِـراءَةَ

القُرآن ، والصَّلاةَ والصِّيامَ والجِهادَ في سَبيلِ اللّه . فكانَ يَصومُ ولا يُفطِر ، ويَقرأُ القُرآنَ منَ الفَجرِ إلَى الفَجر ، وكانَ شَديدَ الحِرصِ عَلَى حِفظِ القُرآن ، فَما نزَلتْ آيةٌ إلاّ وكانَ سَبّاقًا إلَى حِفظِها وفَهمِ أَوامِرِها ونَواهيها والعَملِ بِها . وكانَ على الدَّوامِ في مُقدِّمةِ المُحارِبينَ في سَبيلِ اللّه ، فإنْ لم تكُنْ هُناكَ حَربٌ فهو في المَسجدِ مُداومًا علَى ذِكرِ اللّه . أتَعلَمُ يا رَبيعُ أنَّ عبدَ اللّهِ ابنِ عَمرٍو لم يَعرفْ لِسانُهُ حَديثًا منْ أَحاديثِ الدُّنيا أبَدا ، مَهما كانَ حَديثًا حَلالا ؟ فهوَ

دائما أبَدًا تالِيًا للقُرآن ، أو مُسَبِّحًا بحَمدِ اللّه ، أو مُستغفِرًا لذَنبه ؟

قالَ رَبيع : وما هو العَملُ الّذى يُمكِنُ أن يَندمَ عَليهِ عَبدُ اللّه ؟ فهوَ منَ الذّاكِرينَ اللّه .

ردَّ عَليهِ الشَّيخُ عَلىّ بقَولِهِ : عَلِمَ الرَّسولُ - صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - بأمرِ عَبدِ اللّه ، فدَعاهُ وسَألَه : (ألم أُخبَرْ أنّكَ تَصومُ النّهارَ لا تُفطِر ، وتُصلّىَ اللّيلَ لا تَنام ؟) .

ردَّ عَليهِ عَبدُ اللّهِ بالإيجاب .

ولأنَّ الإسْلامَ هو دينُ الاعْتِدالِ فى كلِّ شَىء ، فقد نهاهُ الرَّسولُ - صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - عن ذلك ، وقالَ : (إنّى أَصومُ

وأُفطِر، وأُصلّى وأنام ، وأَتزوَّجُ النّساء ، فَمن رَغِبَ عن شَىءٍ من ذَلك فليْسَ مِنّى) .

وأمرَه بأنْ يَصومَ صِيامَ دَاودَ عليهِ السّلام ، قائِلا : ذَلِكَ أفْضَلُ الصِّيام ، يَصومُ يَومًا ويُفطِرُ يَوما ، وأَن يَقرأَ القُرآنَ كلَّ شَهرٍ مَرَّة ، وإنْ أَرادَ فكلَّ عَشَرَةِ أيّامٍ مَرَّة ، وإنْ قَدِرَ فكلَّ ثَلاثةِ أيّامٍ مَرَّة ، وليسَ أَقلَّ من ذَلِك .

ثمَّ ينهى الرَّسولُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ ـ حَديثَهُ معَ عبدِ اللّهِ قائِلاً : افعَلْ ما أمَرتُكَ وأَطِع أباك .

وتَمرُّ الأيّامَ وتَزيدُ الفِتَن ، ويَزيد التَمرُّدُ بَينَ المُسلِمين ، فهذا مُعاوِيَةُ بنُ أَبى سُفيانَ يَطمَعُ فى الخِلافَةِ بعدَ مَقتَلِ عُثمانَ بنِ عَفّان ،

وَيَزعُمُ أنَّهُ أَولَى بِها من عليٍّ بنِ أبى طالِب ـ كَرَّمَ اللَّهُ وَجهَه ـ وتَنشَأُ الحَربُ بين الطَّائِفتَيْن . ومَضت موقِعَةُ الجَمَل وجاءتْ مَوقِعَةُ صِفّين . ويَأمُرُ عَمرُو بنُ العاصِ ـ أبو عبدِ اللّهِ ـ ولَدَهُ أن يَخرُجَ لِلقِتالِ فى صُفوفِ مُعاوِيَة ، فَعمْرٌو داهِيَةٌ ماكِر ، يَعلَمُ مَدَى حُبِّ المُسلِمينَ لابْنِهِ عبدِ اللّه ، وتَقديرِهم لَه ، فهو يُريدُه فى صَفّه ليَكسِبَ جُموعَ المُسلِمينَ معه .

ويَرفُضُ عبدُ اللّه . فكيفَ لَه أنْ يُحارِبَ مُسلِمًا وقد قالَ اللّهُ تَعالى : ﴿ ومَن يَقْتُل مُؤمِنًا مُتعَمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهنّمُ خالِدًا فيها

وغَضِبَ اللّهُ عَليهِ ولَعَنَه وأعدَّ له عَذابًا عَظيما ﴾ .

ولكنَّ عمرَو بنَ العاصِ يُذكِّرُهُ بأمرِ الرَّسولِ - صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - لَه بأنْ يُطيعَ أَباه فيخرُجَ - عبدُ اللّهِ - كارِهًا عازِمًا فى نَفْسِهِ ألاّ يُحارِب .

قالَ المُعلِّمُ عبّاس : خرجَ عبدُ اللّهِ لِقِتال المُسلِمينَ رغْمَ عِلمِه بحُرمَةِ ذلك ، وهُو العابدُ المُتعبِّد ؟

قالَ الشّيخُ عَلِيّ : لقدْ أطاعَ أَباهُ فى أمْرٍ يَعلَمُ أنّهُ مَكروهٌ حتّى لا يُغضِبَ أَباه ، ولكِنَّ تِلكَ الطّاعَةَ جَلبتْ عَليهِ النّدَم ما بَقِيَ له من عُمْرِه ، فقدْ قُتِل فى تِلك المَعركَةِ « عَمّارُ بنُ

ياسِر » وقَد تَنبَّأَ الرَّسولُ - صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - مِنْ سَبْعٍ وعِشرينَ سَنةً بِقولِه : (وَيْحَ ابنِ سُمَيَّة ! تَقْتلُهُ الفِئَةُ الباغِيَة) . إذَنْ فهؤلاءِ الَّذين خرجَ معهم هُم الفِئَةُ الباغِيَة . وهاجَ عَبدُ اللّهِ وماجَ كيفَ يُحارِبُ مَع الفِئَةِ الباغِيَة ، فَينطَلِقُ في جَيشِ مُعَاوِيَةَ مُنذِرًا إيّاهُم أنَّهم بُغاة . ويَسودُ الوُجومُ جَيشَ مُعاوِيَة ، ويَخافُ مُعاوِيَةُ منَ الهَزيمَة ، ويَسأَلُ عَبدَ اللّه : فَلِمَ خَرَجْتَ مَعنا ؟ ويَرُدُّ عَبدُ اللّه : لأنَّ الرَّسولَ - صلَّى اللَّهَ عَلَيْهِ وسَلَّمَ - أَمرَني أَنْ أُطيعَ أَبي .

وَيُنقِذُ عَمْرو بنُ العاصِ الماكِرُ المَوقِفَ وقال : إنَّما قَتلَ عمارَ بنَ ياسِرٍ الَّذين خَرَجوا به وحَمَلوه مَعهُم إلى القِتال .

ويَستأَنِفُ الفَريقانِ القِتال .

قالَ رَبيع : وماذا فعلَ عبدُ اللّهِ بعدَ ذلك ؟

قالَ الشَّيخُ عَلِيّ : عادَ إلَى مَسجدِهِ وعِبادَتِه ، وقَضَى ما بَقَى من عُمرِهِ نادِما ، فكُلّما تذكَّرَ تلكَ المَعركَةَ بكىَ وقال : مالى ولصِفّين ؟ مالى ولِقتال المُسلِمين ؟

ولقِىَ عبدُ اللّهِ بنُ عَمرِو بنِ العاصِ ربَّهُ وهو فى الثّانِيَةِ والسَّبعينَ من عُمْره ، بعدَ أن قَضَى ما بَقَى له مِن عُمرِهِ فى المَسجِدِ ، يتضَرَّعُ إلَى

اللّهِ ويُسبّحُ بحَمدِه ، ويَستغفِرُ لذَنْبه .

* * *

قالَ المُعلّمُ عَبّاس : عِندَ ما دَعوتُ رَبيعًا لِلعَملِ مَعى ، كنتُ أُفكّرُ فى مَصلَحَتِه .

قالَ الشَّيخُ عَلِىّ : وما هى المصلَحَةُ فى التّسوُّل ؟ دَع ابنَكَ يَذهَبْ إلى مَدرَسَتِه ، ويَتعلَّمْ ليَشُبَّ رَجُلاً عامِلاً يَنفَعُ المُجتمَع ، ولَيسَ عاطِلاً يَعيشُ عالَةً على النّاس . وأنتَ يا مُعلّمُ عبّاس ، ألا تَخجَلُ من سُؤالِ النّاس ؟ إنَّ بضعَةَ قُروشٍ قَليلَةٍ تَكسِبُها من حَلال ، أَبْرَكُ من الجُنَيْهاتِ الَّتى تكسِبُها مُتذَلّلاً لِلناس .

قالَ المُعلّمُ عَبّاس : ولَكنّى لا أَعرِفُ أيَّةَ مِهنَة ، ولا أُتقِنُ أيَّةَ صَنْعَة .

قالَ الشَّيخُ علىّ : إذا عَزمتَ على التَّعلُّمِ فذَلِكَ أمْرٌ سَهل . المُهِمُّ هو أنْ تُريدَ أن تَتَعلَّمَ أىَّ مِهْنَة ، وأنا - إنْ شاءَ اللّهُ - سَأُعَرِّفُك ببَعضِ الإخْوةِ الذّينَ يُمكِنُ أن يُعاوِنوك . واللّهُ وليُّ التّوفيق .

قالَ رَبيع : شُكرًا جَزيلاً لَكَ يا شَيْخُ علىّ ، فأنْت إنّما تَقومُ بعَمَلٍ جَليلٍ لَن أنْساهُ لكَ العُمرَ كُلَّه .

قالَ الشَّيخُ علىّ : لا شُكرَ على واجِب ، (واللّهِ لأنْ يَهدِىَ اللّهُ بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعم) أى الإبِل الحُمْرِ ، وهى أنفَسُ أَموالِ العَرَب .